القراءات القرآنية في المدينة النبوية في العصور الثلاثة الأولى
تاريخها، ثبوتها، أثرها في العلوم الأخرى

دكتور/ أنور بن عمر بن موسى هوساوي
الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى

المستخلص:

تبرز مشكلة البحث في بيان واقع القراءات القرآنية في العصور الثلاثة الأولى، وأثرها في ظهور علم القراءات وإقرائه، والتصنيف فيه، وهي بحاجة إلى من يعرّف بها ويبرزها، ويبين تاريخها، وثبوتها، وفق دراسة علميّة. وقد هدف البحث إلى: ١- جمع ما ورد عن السلف في كيفية حفظ كتاب الله، ٢- بيان أبرز قراء القراءات في العصور الثلاثة الأولى، ٣- إبراز سنتهم المتبعة في العناية بكتاب الله تعالى، ٤- بيان الآثار المترتبة على تنوع القراءات واختلافها مع العلوم الأخرى. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي؛ القائم على الاستقراء والاستنباط. وتوصل إلى عدد من **النتائج والتوصيات** من أهمها: أن علم القراءات له أثر على العلوم الشرعية وغيرها، كأثر القراءات على البلاغة، وأثر القراءات على النحو العربي، وعلم الصرف، وأثر القراءات على التفسير، وأثر القراءات على الفقه، والعقيدة، وأثر القراءات على الوقف والابتداء، وعلى علم الرسم والتوجيه، تحتاج إلى إفراد رسائل جامعية يستفيد منه طلبة العلم. أقترح أن ينشأ موسوعة علمية مرجعية على الحاسب الآلي، أو على أجهزة التطبيقات الذكية في القراءات المتواترة والشاذة، كالموسوعات الحديثية والفقهية كي يستفيد منها طلبة العلم.

الكلمات المفتاحية: جهود القراءات في المدينة – أثر القراءات على العلوم الأخرى – تاريخ القراءات في المدينة

Abstract:

Problem of the research lies in explaining the reality of Qur'anic readings in the first three eras, and their impact on the emergence of the science of Qur'anic readings, its teaching, and classification in it, and they need someone to define them, highlight them, and explain their history and proof according to a scientific study. The research aims to: ١- Collect what was reported from the predecessors regarding how to memorize the Book of Allah Almighty, ٢- Shed light on the most prominent reciters of readings in the first three eras, ٣- Highlight their followed approaches in caring for the Book of Allah Almighty, ٤- State the impacts of the diversity of readings and their differences with other sciences. The researcher used the descriptive analytical method, based on induction and deduction. The researcher reached a number of results and recommendations, the most important of which are: The science of readings has an impact on the sharia sciences and others. For instance, the impact of readings on rhetoric, the impact of readings on Arabic grammar, morphology, the impact of readings on interpretation, the impact of readings on jurisprudence and creed, and the impact of readings on Waqf (i.e. The stop) and Al-Ibtidaa' (i.e. The start) and on the science of script and guidance. They need to provide university studies that benefit students of knowledge. I suggest that a scientific reference encyclopedia be created on the computer, or on smart application devices for frequent and irregular readings, such as hadith and jurisprudence encyclopedias, so that students of knowledge can benefit from them.

Keywords: reading efforts in Medina - the impact of readings on other sciences - the history of readings in Medina

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن، وشرفنا بتلاوته وحفظه وتدبره، وحثنا على الاستنار بنوره، والعمل بأحكامه وهديه، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وعمل بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم، هو دستور المسلمين الخالد، تنافس في مدارسته، تلاوة واستظهاراً، إعراباً وتفسيراً، الأئمة العلماء في كل عصر ومصر، ولا شك أن المدينة النبوية هي منطلق الرسالة والدعوة إلى الله بعد الهجرة، فكان للقراء في الصدر الأول أبلغ الأثر في تعليم كتاب الله وكيف لا يكون ذلك وقد تلقوا من المعلم الأول الهادي البشير السراج المنير، خير من تمجد وقام، وقرأ القرآن، وهؤلاء القراء في العصور الثلاثة الأولى هم الطبقة الأولى في نشر القراءات القرآنية، وكان لهم عظيم الأثر في تشييد بنيان علم القراءات، ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث في قراءات وقراء المدينة النبوية في العصور الثلاثة الأولى، وفق منهج استقرائي وصفي، **وعنوان البحث:** (القراءات القرآنية في المدينة النبوية في العصور الثلاثة الأولى تاريخها، ثبوتها، أثرها في العلوم الأخرى) والله أسأل أن ينفعنا بما كتبنا وقرأنا، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على النبي الأكرم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه:

- **أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:**

١) تعلقه بكتاب الله تعالى الذي تعبدنا بتلاوته وفهمه وتدبره، قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾ [البقرة: ١٢١]، والشيء يشرف بشرف المتعلق به.

٢) الحاجة إلى معرفة هدي السلف ﷺ وعنايتهم بحفظ كتاب الله وفهمه وتعلمه وتعليمه، وحفظ قراءاته.

٣) الحاجة إلى معرفة عناية السلف ﷺ بالتصنيف والتأليف في القراءات القرآنية، وما يتعلق بها من علوم.

٤) أثر اختلاف مناهجهم في تلقي القراءات، وتعليمها، وتدوينها.

أهدافه:

١) جمع ما ورد عن السلف ﷺ في كيفية حفظ كتاب الله
٢) بيان أبرز قراء القراءات في العصور الثلاثة الأولى.
٣) إبراز سنتهم المتبعة في العناية بكتاب الله تعالى.
٤) بيان الآثار المترتبة على تنوع القراءات واختلافها مع القراءات الأخرى.

الجديد في هذا البحث:

١) مقارنة أساليب القراءة وطريقة الإقراء في العصر الأول والثاني والثالث مع ما استجد بعد ذلك، وفي وقتنا الحاضر.
٢) تمييز كل قراءة من القراءات العشر حسب الأعصار والأمصار.
٣) بيان ما يقرأ به من القراءات في وقتنا الحاضر، وأسباب ذلك.

الدراسات السابقة:

لقد عني علماء الأمة من المتقدمين والمتأخرين بالتصنيف في القراءات القرآنية، وقد كان علماً مستقلاً أفرده بعض العلماء بالتصنيف، والبعض الآخر جعله باباً في كتابه.

وقد تنوع التأليف في علم القراءات، وتفنن علماءه، فألفوا المختصرات والمطولات والشروح ونظموا القصائد في علم القراءات وشرحوها، وصنفوا في توجيه القراءات المتواترة والشاذة، وكذلك صنفوا في تراجم القراء وطبقاتهم.

وأبرز من صنف في طبقات القراء عبر الأعصار والأمصار:

- كتاب معرفة القراء الكبار، وطبقات القراء على الأعصار: للحافظ الذهبي.
- كتاب غاية النهاية: للإمام ابن الجزري.
- كتاب تذكرة الحفاظ: للحافظ المزي.
- كتاب أعلام الحفاظ والمحدثين عبر أربعة عشر قرناً: لعبد الستار شيخ.
- كتاب الحلقات المضيئات في سلسلة أسانيد القراءات.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وبابين، وأربع فصول، وخاتمة، وفهارس، وذلك على النحو التالي:

المقدمة:

تحوي بياناً بأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والجديد في البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد:

ويشمل:

- التعريف بالقراءات، وبعض المصطلحات المتعلقة بالقراءات.
- تعريف القارئ والمقرئ.

الباب الأول: نشأة علم القراءات.

الفصل الأول: القراءات منذ عهد النبي ﷺ إلى عصر التدوين.

المبحث الأول: تلقي جبريل عليه السلام من الله تعالى.

المبحث الثاني: تلقي الرسول ﷺ من جبريل عليه السلام.

المبحث الثالث: تلقي الصحابة رضي الله عنهم من الرسول ﷺ.

المبحث الرابع: تلقي الصحابة رضي الله عنهم من بعضهم البعض.

الفصل الثاني: التصنيف في علم القراءات.

المبحث الأول: مراحل التأليف في علم القراءات.

المبحث الثاني: أول من ألف في هذا العلم.

الباب الثاني: قراء المدينة النبوية في العصور الثلاثة الأولى ومناهجهم

الفصل الأول: قراء القراءات في المدينة ومنهجهم.

المبحث الأول: قراء القراءات في الصدر الأول ومنهجهم.

المبحث الثاني: قراء القراءات في الصدر الثاني ومنهجهم.

المبحث الثالث: قراء القراءات في الصدر الثالث ومنهجهم.

الفصل الثاني: أثر قراءاتهم في العلوم الشرعية الأخرى.

المبحث الأول: أثر قراءتهم في التفسير.

المبحث الثاني: أثر قراءتهم في الأحكام الفقهية.

المبحث الثالث: أثر قراءاتهم في اللغة العربية.

الخاتمة:

أضمن فيها أهم التوصيات والنتائج التي توصلت إليها.

فهرس المصادر والمراجع.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج التالي:

١) كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني المضبوط على رواية حفص عـــــــن عاصم.
٢) ترقيم الآيات وعزوها إلى سورها.
٣) تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية.
٤) تخريج القراءات من مصادرها وبيان المتواتر منها والشاذ.
٥) ذكر الأقوال وتوجيه الخلاف وبيان الراجح.
٦) ترجمة للأعلام المذكورين في ثنايا البحث، وترك المشهورين.
٧) لا أذكر بيانات المصادر والمراجع في تضاعيف البحث، وإنما أكتفي بذكر المصدر أو المرجع ومؤلفه فقط، وأما المعلومات المتعلقة بها فسأذكرها إن شاء الله ضمن فهـــرس المصادر والمراجع.

التمهيد:

القراءات لغة: جمع قراءة، وهي مصدر قرأ قراءة وقرآنا، وهي في الأصل بمعنى: الجمع والضم، تقول قرأت الماء في الحوض، أي جمعته فيه، وسمي القرآن قرآناً لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض.[١]

والقراءات في الاصطلاح: علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزو لناقله.[٢]

وعرّف الشيخ عبد الفتاح القاضي[٣] القراءات بقوله: علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله.[٤]

ويقول الشيخ العلامة البنا الدمياطي[٥]: القراءات علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق من حيث السماع.[٦]

وقد عرف العلماء القراءات بتعريفات أخرى غير هذه التعريفات، وبعضها فيها نظر؛ حيث أن أغلبهم لم يفرق بين تعريف علم القراءات وتعريف القراءات، وبالنظر إلى التعريفات السابقة التي ذكرها العلماء بحد أيضاً ألهم عرفوا علم القراءات، ولم يعرفوا القراءات.

والتعريف الذي يجمع هذه التعريفات هو أن القراءات هي: مذاهب الناقلين لكتاب الله ﷻ في كيفية أداء الكلمات القرآنية.[٧]

وأشمل منه وأجمع: هو أن القراءات: كيفيات نحوية، وصرفية، وصوتية.

أما تعريف المقرئ: فهو العالم بالقراءات رواها مشافهة. لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة.

والقارئ: هو المتلقي للقراءة وهو إما مبتدئ، أو متوسط، أو منته.

فالمبتدئ: من شرع في الإفراد إلى أن يفرد ثلاث روايات، **والمتوسط:** من أفرد إلى أربع أو خمس، **والمنتهي:** من نقل من القراءات أكثرها وأشهرها.[٨]

---

١ انظر: لسان العرب، مادة قرأ ص ١٢٨، والقاموس المحيط ص٦٢.

٢ انظر: منجد المقرئين، للإمام محمد بن محمد بن الجزري، ص ٤٩.

٣القاضي: هو العلامة المحقق الشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي الدمنهوري ثم القاهري، ولد في (٢٥/٨/١٣٢٠ ه)، وتوفي في (١٥ من المحرم ١٤٠٣ ه)، علم مبرز في القراءات وعلومها، وفي العلوم الشرعية والعربية، ومن أفاضل علماء الأزهر له أدب رفيع، واقتدار على النظم بديع، من أبرز شيوخه: همام بن قطب الزاهر، والشيخ علي عبادة، والشيخ محمد حسن الشوري وغيرهم، من تلاميذه الشيخ إبراهيم الأخضر شيخ القراء في المسجد النبوي، والشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي، والشيخ عبد العزيز عبد الفتاح قاري وغيرهم، من مؤلفاته: الوافي في شرح الشاطبية، أسباب النزول، الإيضاح في شرح الدرة، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، رحمه الله . انظر: الحلقات المضيئات من سلسلة أسانيد القراءات٨٣/١. وانظر: إمتاع الفضلاء بتراجم القراء : ١/ ٢٤٨ .

٤ انظر: البدور الزاهرة ص ٧. انظر: البدور الزاهرة ص ٧.

٥ الدمياطي: هو أحمد بن محمد بن أحمد عبد الغني الدمياطي، شهاب الدين الشهير بالبنا، عالم بالقراءات، ولد ونشأ بدمياط، من مؤلفاته: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، توفي في (شهر محرم ١١١٧ه)، بالمدينة المنورة. انظر: الحلقات المضيئات ٢٧٢/١.

٦ انظر: إتحاف فضلاء البشر، ص ٧.

٧ انظر: القراءات القرآنية تاريخها لعبد الحليم قابة، ص ٢٥ – ٢٦.

٨ انظر منجد المقرئين، الإمام محمد بن محمد بن الجزري، ص ٤٩، وانظر إتحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطي، ص ٧.

التعريف ببعض المصطلحات المتعلقات بالقراءات:

وهذه المصطلحات نذكرها لعلاقتها بالأسانيد والطبقات، وهي كالآتي:

(القراءة) المقصود بها: كل خلاف نسب إلى إمام من أئمة القراءات مما أجمع عليه الرواة عنه، نحو قوله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة: ٤]، قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف العاشر، و﴿**مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة: ٤]، بحذف الألف قراءة الباقون.

(الرواية) كل خلاف نسب إلى الأخذ عن إمام من أئمة القراءة، نحو رواية شعبة وحفص عن عاصم، ورواية قالون وورش عن نافع، ولو بواسطة نحو: رواية الدوري عن أبي عمرو بواسطة يحي اليزيدي، لأن الدوري تلميذ يحي ولم يأخذ عن أبي عمرو مباشرة، ويحي تلميذ أبي عمرو، ولكن الدوري اشتهر برواية أبي عمرو.

(الطريق) كل خلاف نسب إلى الآخذ عن الراوي وإن سفل نحو طريق الأصبهاني الرواية ورش وطريق عبيد بن الصباح، لرواية حفص.

خلاصة الكلام في هذه المصطلحات الثلاثة: أن لكل إمام راويين سواء أخذ القراءة عن الإمام مباشرة أو بواسطة، وأن لكل راو طريقين سواء أخذ القراءة عن الراوي بواسطة واحدة أو أكثر، فإن نسب الخلاف إلى الإمام، يقال: قراءة، وإن نسب إلى أحد راوييه، يقال: رواية إن نسب إلى تلميذ الراوي أو إلى من اشتهر بنقل روايته عنه يقال: طريق.[١]

١ انظر كتاب " صفحات في علوم القراءات " ص ١٨ .

الباب الأول: نشأة علم القراءات

وفيه فصلين:

الفصل الأول: القراءات منذ عصر النبي ﷺ إلى عصر التدوين

وفيه أربع مباحث:

المبحث الأول: تلقي جبريل عليه السلام الوحي من الله ﷻ.

علم القراءات – كغيره من العلوم – مر بمراحل متتالية ومتطورة بدأ من نزول القرآن الكريم بأحرفه السبعة، وانتهاء باستقراره علماً مدوناً، له مبادئه وأصوله وطرقه وشيوخه، فالقرآن العظيم أنزله الله ﷻ على خاتم رسله محمد ﷺ، وحمل هذا التكليف أمين الوحي جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ قال الله تعالى: **﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾** [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

وقد اتفق العلماء والمحققون على أن جبريل عليه السلام قد تلقى القرآن عن الله ﷻ، ولكنهم اختلفوا في كيفية التلقي على ثلاث مذاهب:

المذهب الأول: أن جبريل عليه السلام تلقى القرآن سماعاً من الله ﷻ، ودليلهم: الحديث الذي رواه النواس بن سمعان[١] رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي، أخذت السماوات منه رجفة شديدة خوفاً من الله سبحانه، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا الله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد...**"[٢]، ويرى أصحاب هذا المذهب أن هذا الدليل وإن لم يكن نصاً في القرآن؛ إلا أن الوحي يشمل وحي القرآن وغيره.

بل يدخل فيه – وحي القرآن – لأهميته ومنزلته، وهذا المذهب مذهب أهل السنة والجماعة، وإليه ذهب الإمام أحمد[٣]، وابن تيمية[٤] وغيرهم.

المذهب الثاني: يرى أصحابه أن جبريل عليه السلام أخذ القرآن من اللوح المحفوظ، ودليلهم في ذلك قول الله تعالى: **﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ۞ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾** [البروج: ٢١-٢٢].

المذهب الثالث: يرى أصحاب هذا المذهب أن معنى القرآن موحى من الله تعالى، ولفظه من جبريل عليه السلام، أو من محمد ﷺ، وهذا الرأي رأي فاسد وليس له دليل لا من العقل ولا

---

١ هو النواس بن سمعان بن خالد بن كلاب العامر الكلابي له ولأبيه صحبة وحديثه عند مسلم. انظر الإصابة لابن حجر : ٢٥٧/٦.

٢ انظر: فتح الباري لابن حجر : ١٣/٤٥٧.

٣ هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبد الله الشيباني، أحد أعلام الأئمة وأزهد الأئمة، ولد سنة أربع وستين ومائة، توفي سنة (٢٤١ه) انظر: ترجمته في غاية النهاية، ١١٢/١.

٤ هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام أبو العباس بن تيمية، شيخ الإسلام من المجاهدين الأفذاذ. توفي سنة (٧٢٨ه) انظر: ترجمته في الأعلام للزركلي: ١٤٤/١.

من النقل، بل فيه طعن في القرآن وتشكيك في مصدره، ومعارض صريح لآيات القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِئَايَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف: ٢٠٣]. وغيرها من آيات، وكلها نص صريح في أن القرآن كلام الله ﷻ، وأن الرسول ﷺ تلقاه عن الله ﷻ بواسطة جبريل عليه السلام، وجبريل تلقاه عن الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]، وبعد هذه الأقوال لم يبق معناً يحتج به سوى القول الأول: وهو أن جبريل عليه السلام تلقى القرآن من الله ﷻ، وليس من اللوح المحفوظ لدلالة الكتاب والسنة وكلام السلف من أهل السنة والجماعة.[1]

المبحث الثاني: تلقي الرسول ﷺ من جبريل عليه السلام

إن القرآن الكريم كلام الله على حقيقة بلفظه ومعناه، أنزله على محمد ﷺ معجزة له؛ لهداية خلقه تعالى، بواسطة جبريل عليه السلام، ولا شك أن الاعتماد في نقل القرآن هو التلقي والمشافهة، وقد روعي في تسميته قرآناً كونه متلواً بالألسن، كما روعي في تسميته كتاباً كونه مدوناً بالأقلام، وكلتا التسميتين بالمعنى الواقع عليه، فالقرآن الكريم أنزله الله ﷻ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وأوحى إلى جبريل عليه السلام فأخذه جبريل عليه السلام سماعاً من الله ﷻ، ونزل به إلى قلب النبي ﷺ، وتلقاه الصحابة رضي الله عنهم من فيّ الرسول ﷺ[2]، وبقيت طريقة التلقي والأخذ بالقرآن بهذه الصورة سنة متبعة. وقد لبى النبي ﷺ أمر ربه بتبليغ القرآن وتعليمه للناس وتلاوته عليهم قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وحرص ﷺ على إتقان القرآن، مما جعله يتخذ أساليب اجتهادية في ذلك، كالعجلة في تحريك لسانه وشفتيه، فأنزل الله ﷻ آيات في النهي عن هذه الأساليب وإرشاداً للمنهج القويم، قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٩].

فهو تعليم من الله ﷻ لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك؛ فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في قراءاته، فأمره الله ﷻ إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه، وقد امتثل ﷺ أمر ربه، وكان رسول الله ﷺ يتلقى القراءات بواسطة

---

١ انظر: علم القراءات نشأته وتطوره لنبيل إسماعيل، ص٥٧، وانظر: القراءات القرآنية تاريخها لعبد الحليم قبة، ص٤٧.

٢ انظر: علم القراءات نشأته وأطواره، ص٦٤.

جبريل عليه السلام حيث كان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه ما نزل من القرآن العظيم،[1] وطريقة هذه المدارسة كما جاء في الصحيح[2] **أن كلاً منهما يقرأ على الآخر، وأنهما يتدارسان ما ينزل طوال السنة.**

المبحث الثالث: تلقي الصحابة رضي الله عنهم من الرسول ﷺ

بعث رسول الله ﷺ، وأنزل عليه القرآن، فلقنه إياه جبريل عليه السلام، ثم إن الرسول ﷺ، أخذ يقرؤه على الناس ، ويدعوهم به إلى الله تعالى، وقد أقرأ النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم فرادى ومجتمعين ما نزل من القرآن بأحرفه السبعة، فكان يعلم بعضهم حرفاً واحداً، وبعضهم أكثر من حرف، والبعض حرفاً مختلفاً عن آخرين، ويدخل في هذا صلاته ﷺ بالمسلمين وتذكيره لهم بالقرآن فذاك نوع تعليم ونشراً للقرآن بقراءاته تنفيذاً لأمر الله تعالى له بالتبليغ والإنذار.[3]

قال الله تعالى: **﴿وَقُرْءَاناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾** [الإسراء: ١٠٦] وقال أيضاً: **﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** [الأعراف: ٢]، وقد حرص النبي ﷺ على أن يتعلم الصحابة القرآن، وحثهم على ذلك، ورغّبهم فيه، ومن ذلك الحديث الذي رواه البخاري[4] وغيره عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**"[5]، والحديث الذي رواه أبو أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**"[6] إلى غير ذلك من آثار كثيرة كلها تدل على أهمية حفظ القرآن وتعلمه وتلقيه.

المبحث الرابع: تلقي الصحابة رضي الله عنهم من بعضهم البعض

إن الإسلام حينما قوي وانتشر وانتصر؛ أقبل الناس من ناحية من نواحي الجزيرة العربية؛ يعلنون إسلامهم، مما جعل الرسول ﷺ يستعين بالصحابة الكرام رضي الله عنهم في تعليم المسلمين الجدد القرآن وأمور الدين، أضف إلى ذلك أن الصحابة منهم من لم يستكمل حفظ القرآن إلا بعد وفاة النبي ﷺ، فكان بدهياً أن يستكمله ممن حفظه من إخوانه الصحابة على عهد رسول الله ﷺ[7]، فاستجاب الصحابة رضي الله عنهم لأمر الرسول ﷺ: "**بلغوا عني ولو آية**"[8] وقوله:

---

١ انظر: صحيح البخاري ٢/٦.

٢ انظر: صحيح البخاري، ص٨٩٦.

٣ انظر: القراءات وتاريخها ص٥٢، وانظر: علم القراءات نشأته وأطواره ص٧١.

٤ هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، البخاري، حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله ﷺ، صاحب الجامع المعروف بصحيح البخاري، ولد في بخارى ونشأ يتيماً، وقام برحلة طويلة في طلب العلم، توفي (٢٥٦هـ)، انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر، ٤٧/٩، والأعلام: ٣٤/٦.

٥ انظر: صحيح البخاري في كتاب (فضائل القرآن) ١٠٨/٦.

٦ انظر: صحيح مسلم (كتاب صلاة المسافرين) باب فضل قراءة القرآن، ٥٥٣/١.

٧ انظر: علم القراءات نشأته وأطواره ص٨٣ .

٨ انظر: صحيح البخاري (كتاب الأنبياء) باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: ٣٢٧٤، والترمذي: (كتاب العلم) باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل، رقم: ٢٦٧١.

"**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**" فتمثل الصحابة هذه الأحاديث، وبدؤوا يقرِؤون بعضهم البعض، وقد عيّن الرسول ﷺ نقراً بأسمائهم وأمر بالأخذ عنهم فقال: "خذوا القرآن من أربعة: عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة[١]، ومعاذ بن جبل[٢]، وأبيّ بن كعب[٣]".

وانتشر الصحابة ﷺ في الآفاق يقرئون الناس القرآن والقراءات، حتى إن أول رسول سبق وصول رسول الله ﷺ هو مصعب بن عمير[٤]ﷺ المعلم الحكيم الذي اختاره رسول الله ﷺ، وهو أول من سمي المقرئ[٥]، ولما فتحت مكة ترك الرسول ﷺ معاذ بن جبل ﷺ فيها للتعليم، وهو أحد الصحابة الذين أمر النبي ﷺبالأخذ منهم، وهكذا تكونت جماعة من الصحابة، عرفت "**بالقراء**"، وشهرتهم بهذا اللقب تعطينا صورة جلية عن مدى انتشار القراءة في هذه المرحلة، ولقد تصدى كثير من الصحابة لحفظ القرآن عن ظهر قلب في حياة الرسول ﷺ، ومن أشهرهم عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبيّ بن كعب، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء ﷺ وغيرهم، وسأذكر بيان وافياً في الباب الثاني عنهم إن شاء الله.

---

١ هو سالم بن معقل، مولى أبي حذيفة بن عتبة، أبو عبد الله، صحابي من السابقين الأوليين البدريين المقربين، تبناه أبو حذيفة، وكان يؤم المهاجرين في قباء، وكان يوم اليمامة حاملاً لواء المهاجرين حتى قتل سنة (١٢هـ)، انظر: الإصابة ٥٦/٣.

٢ هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن كعب، أبو عبد الرحمن، شهد العقبة مع السبعين، آخى النبي ﷺ بينه وبين ابن مسعود، وبعثه إلى اليمن، توفي في طاعون عمواس سنة (١٨هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٦٧/١.

٣ انظر: صحيح البخاري (كتاب فضائل الصحابة) باب المناقب، رقم: ٣٥٤٨.

٤ هو مصعب بن عمير بن هاشم القرشي، صحابي من السابقين إلى الإسلام، أسلم بمكة، فكتم إسلامه، وهاجر إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، فكان معلماً لأهلها قبل هجرة النبي ﷺ، شهد بدراً واستشهد في أحد.

٥ انظر: زاد المعاد لابن القيم، ٤٧/٣.

الفصل الثاني: التصنيف في علم القراءات

وفيه مبحثين:

المبحث الأول: مراحل التأليف في علم القراءات

لقد بدأ التدوين في علم القراءات كغيره من العلوم، منذ وقت مبكر؛ غير أنه لم يشتد إلا في القرن الثالث الهجري، عصر التدوين، ولقد كانت القراءات، ولا تزال؛ محل اهتمام العلماء، وكان القرآن الكريم وتلاوته شغلهم الشاغل عن كل شيء، حتى كان بعضهم يفضل تعلم القرآن وتعليمه على الجهاد في سبيل الله [1]، والتأليف في علم القراءات قد مر بمراحل؛ والمعتمد في هذه المراحل كلها هو الرواية الموثقة عن الحفاظ، ومن هذه المراحل:

أ- **مرحلة الرواية الشفوية من بعثة الرسول ﷺ إلى عام (٦٠هـ):** إذ كان القرآن محفوظاً في الصدور، ومكتوباً في الوسائل المعروفة في ذلك الوقت.

وهذه المرحلة تشمل صدر الإسلام، واستمرت حتى ظهور نقط الإعراب على يد أبي الأسود الدولي (ت ٦٩ ه).

ب- **مرحلة ضبط القراءات (٦٠ هـ - ٢٥٥ هـ):** وهي برموز الإعراب والإعجام، وقد ظهرت في هذه المرحلة أوائل محاولات التأليف في بعض فروع علم القراءات[2].

وممن ألف في القراءات من الأئمة المشهورين من القراء العشرة أو رواتهم أو تلامذتهم:[3]

١. أبو عمرو بن العلاء (ت: ١٥٤ه).
٢. حمزة بن حبيب الزيات (ت: ١٥٦ه).
٣. علي بن حمزة الكسائي (ت: ١٨٩ه).
٤. إسحاق بن يوسف الأزرق (ت: ١٩٥ه).
٥. يحيى بن المبارك اليزيدي (ت: ٢٠٢ه).
٦. يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت: ٢٠٥ه).
٧. خلف بن هشام البزار (ت: ٢٢٩ ه).
٨. عبد الله بن أحمد الدمشقي المعروف بابن ذكوان (ت: ٢٢٤ه).
٩. أبو عمر حفص الدوري (ت: ٢٤٦ه).

---

١ انظر: النشر لابن الجزري، ٤/١.

٢ انظر: علم القراءات نشأته وأطواره، ص٩٩.

٣ لم أترجم لهم لشهرتهم، وترجمتهم مبسوطة في معرفة القراءة للذهبي، وطبقات القراء لابن الجزري.

١٠. أحمد بن محمد البزي (ت: ٢٥٠ه).

وقد تتابع التأليف في هذا العلم المبارك حتى وصل إلى أكثر من أربعين كتاباً.[١]

المبحث الثاني: أول من ألف في هذا العلم

لقد بدأ التدوين في علم القراءات منذ وقت مبكر كما أسلفت، إلا أن المؤرخين اختلفوا في تعيين أول من ألف في علم القراءات، فذهب الأكثر إلى أنه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤ه).[٢] ونقل الإمام بن الجزري في كتابه غاية النهاية[٣] أنه الإمام أبو حاتم السجستاني (ت: ٢٥٥ه)، ولعل الراجح أن الإمام يحي بن يعمر ت: (٩٠هـ)[٤] هو أول من ألف في علم القراءات.[٥] وذلك لأن الإمام أبا عبيد القاسم بن سلام قد سبق بتسعة عشر رجلاً ممن ألف في القراءات.

وسبق أبو حاتم السجستاني باثنين وثلاثين رجلاً من المؤلفين في القراءات، وعلى هذا فإن حركة التدوين في القراءات بدأت منذ أواخر القرآن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، ولو بصورة غير واضحة، ثم أخذت تنتشر في القرن الثالث.

وبلغت ذروة ازدهارها في القرنين الرابع والخامس ثم أخذت تنحسر ابتداء من القرن السادس حتى القرن الثامن[٦] ولعل قوة التصنيف وضعفه من مرحلة إلى أخرى ومن قرن إلى قرن يعود لعوامل سياسية وغيرها من عوامل والله أعلم.

---

١ انظر: صفحات في علوم القراءات، ص٤١.

٢ هو الإمام الحجة الحافظ العلامة صاحب التصانيف الكثيرة أبو عبيد القاسم بن سلام الأنصاري مولاهم البغدادي، ولد سنة (١٥١ه) وتوفي سنة (٢٢٤ه) عن ثلاث وسبعين سنة حافلة بالعلم والتصنيف. انظر: معرفة القراء ص١٧٣، وغاية النهاية: ١٨/٢.

٣ هو الإمام الحافظ المحقق أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، مؤلف كتاب: غاية النهاية في طبقات القراء، وكتاب النشر في القراءات، ومنظوماته شهيرة معروفة في علم القراءات. انظر ترجمته في غاية النهاية، ٢٤٧/٢.

٤ هو يحي بن يعمر العدواني من التابعين ومن قراء البصرة، وهو أول من نقط المصحف، وكان فصيحاً عالماً، روى عن بن عمر وابن عباس ﷺ انظر: معرفة القراء.

٥ انظر: كتاب: صفحات في علوم القراءات، ص٣٩.

٦ انظر: كتاب: صفحات في علوم القراءات، ص٤٠.

الباب الثاني: قراء المدينة النبوية في العصور الثلاثة الأولى ومناهجهم

وفيه فصلين:

الفصل الأول: قراء القراءات في المدينة ومنهجهم

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: قراء القراءات في الصدر الأول ومنهجهم

القراءات القرآنية نشأت بطبيعة الحال أول ما نشأت في الحجاز أرض النبوة ومهبط الوحي، ثم إن مدرسة النبي ﷺ تعد أولى المدارس القرآنية، بل والعلمية، كما تعد أعظم المدارس علماً ونفعاً؛ كيف لا ومعلمها الأول هو رسول الله ﷺ المبعوث من رب العالمين لتبليغ الوحي وتعليمه، قال تعالى: **﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [النحل: ٤٤]، والكتابة في خصائص مدرسة النبي ﷺ وآثارها يحتاج إلى مجلدات، ولقد كان العلماء قديماً وحديثاً يغترفون ويستكشفون الجديد من هذه الخصائص والميزات ويسطرونها في كتبهم. ومدرسة القراءات – أعني في المدينة – أنشأها معلمها الأول نبينا محمد ﷺ التي كانت مهمته الأولى تبليغ القرآن للناس كما قال تعالى: **﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾** [المائدة: ٦٧].

ولقد فاز الصحابة بالسبق والشرف والسعادة الأبدية حيث تلقوا عن رسول الله ﷺ وسمعوا منه القرآن الكريم بما في ذلك حروفه وقراءاته.[1]

ثم إن الرسول ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى أخذ صحابته الأجلاء يواصلون ما بدأ به نبيهم ﷺ من تعليم الناس القرآن والقراءات، فوصلوا بذلك الحلقة التي بدأها نبيهم ﷺ فتفرغ كثير منهم للإقراء، وتعليم الناس القرآن فانتشروا في الأمصار وأخذ الناس يجتمعون حولهم لعرض القرآن والقراءات عليهم.

ومن ضمن الأمصار والأماكن التي أقاموا بها – يعلمون الناس – الحرمين مهوى أفئدة المسلمين، ومهبط وحيهم، ومدفن نبيهم ﷺ ومسجده. فأسس بعض الصحابة مدارس القرآن والقراءات بمسجد رسول الله ﷺ، ونصبوا أساتذة ومعلمين مبتغين بذلك وجه الله والدار الآخرة.

وتتلمذ على أيديهم طلاب كثيرون نشروا القراءات وحملوها على الناس في الآفاق، فاشتهروا وذاع صيتهم حتى وصل إلينا، وهذه السنّة باقية إلى يومنا هذا ولله الحمد.

---

١ انظر: كتاب علم القراءات نشأته وأطواره، ص١٧٦.

وأبرز القراء والمقرئين في الصدر الأول في المدينة، وممن وجّه النبي ﷺ الصحابة أن يأخذوا منهم ويعرضوا عليهم وهم:

١) أبيّ بن كعب ﷺ (ت: ٣٠هـ)

هو أبيّ كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، أبو المنذر الأنصاري المدني المقرئ البدري.

مكانته وفضله:

شهد العقبة الثانية، وجمع القرآن في زمن النبي ﷺ، وعرض عليه، وحفظ عنه علماً مباركاً، وكان رأساً في العلم والعمل، ﷺ، قال أنس بن مالك ﷺ: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، وقال بن أبي مليكة: سمعت ابن عباس ﷺ يقول: قال عمر: أقضانا علي، وأقرؤنا أبيّ.

أخذ عنه القراءة: ابن عباس، وأبو هريرة، وعبد الله بن السائب، وعبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأنس بن مالك، وزر بن حبيش وغيرهم. توفي رحمه الله سنة ثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان ﷺ.[١]

٢) عثمان بن عفان ﷺ (ت: (٣٥)

هو أبو عبد الله أو أبو عمرو، عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، يلتقي مع الرسول ﷺ في جده الثالث، أمير المؤمنين وثالث الخلفاء الراشدين، أحد المبشرين بالجنة من السابقين الأولين، وأحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، تزوج بابنتي الرسول ﷺ.

مكانته وفضله:

عن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز جيش العسرة، فصبها في حجر النبي ﷺفجعل يقلبها بيده ويقول: "**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم** "، وقال النبي ﷺ: "**من يحفر بئر رومة فله الجنة، فحفرها عثمان، وقال: من جهز جيش العسرة فله الجنة، فجهزه عثمان**" قتل شهيداً ﷺ في داره مظلوماً في ثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وله اثنتان وثمانون سنة على الصحيح.[٢]

---

١ انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: ص١٢.

٢ انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: ص٧، وانظر: الإصابة : ٤/٤٥٦.

٣) زيد بن ثابت ﷺ (ت: ٤٥)

هو أبو خارجة وقيل أبو سعيد، زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، كان كاتب الوحي، ولد في المدينة ونشأ بمكة، وقتل أبوه يوم بعاث وهو ابن ست سنين، وهاجر مع النبي ﷺ وهو ابن إحدى عشرة سنة، وتعلم وتفقه في الدين، فكان رأس بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض، وكان عمر ﷺ يستخلفه على المدينة إذا سافر.

مكانته وفضله:

كان زيد كاتب النبي ﷺ، وقال له النبي ﷺ: "**إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي أو ينقصوا فتعلم السريانية**" فتعلمها في سبعة عشر يوماً.

جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وجمعه في صحف لأبي بكر الصديق ﷺ ثم تولى كتابة مصحف عثمان ﷺ الذي بعث عثمان نسخ منه إلى الأمصار، قرأ عليه أبو هريرة وابن عباس ﷺ.

وكان ابن عباس ﷺ – على جلالة قدره وسعة علمه – يأتيه إلى بيته للأخذ عنه ويقول: العلم يؤتى ولا يأتي.

وقال أبو هريرة ﷺ حين وفاته: مات خير هذه الأمة وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً، توفي سنة خمس وأربعين على الأصح.[١]

المبحث الثاني: قراء القراءات في الصدر الثاني ومنهجهم

هذه الطبقة من القراء هم أيضاً من الصحابة، ولكنهم لم يتلقوا عن النبي ﷺ مباشرة، وإنما تلقوا عن كبار الصحابة القراء الذين أمر النبي ﷺ بالأخذ منهم، وكذلك بعض كبار التابعين الذين ولدوا في زمن النبي ﷺ ولم يشاهدوه لصغرهم، ومن أبرزهم في هذه الطبقة:

١) أبو هريرة ﷺ (ت: ٥٩)

هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، اليماني، الأزدي، وكان اسمه في الجاهلية (عبد شمس) ثم سماه الرسول ﷺ عبد الرحمن، وقيل: عبد الله، وكناه أبا هريرة، وأمه ميمونة بنت صبيح. أسلم هو وأمه سنة سبع من الهجرة، ولازم الرسول ﷺ، وواظب على حضور مجالسه، رغبة في العلم، حتى عُد أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ.

مكانته وفضله:

كان ﷺ سيد الحفاظ الأثبات، وكان إماماً، فقيهاً، مجتهداً صالحاً، حسن الأخلاق، متواضعاً، كثير العبادة والذكر، من أهل الصفة. استعمله عمر ﷺ على البحرين ثم عزله. كما شهد له

١ انظر: معرفة القراء الكبار: ص١٧.

ابن عمر ﷺ في قوله: "أنت أعلمنا يا أبا هريرة برسول الله ﷺ، وأحفظنا لحديثه"، قرأ القرآن على أبيّ بن كعب ﷺ، وحدّث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، توفي ﷺ سنة تسع وخمسين من الهجرة، وقيل غير ذلك.[1]

٢) عبد الله بن عياش ﷺ (ت: ٦٤)

هو عبد الله بن عياش بن عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ولد بأرض الحبشة، ويكنى أبا الحارث، حفظ عن النبي ﷺ وروى عنه، وعن ابن عمر ﷺ وغيره.

مكانته وفضله:

كان أبوه قديم الإسلام، وكان ممن هاجر إلى الحبشة، فولد له عبدالله بها، ثم رجع إلى المدينة فسكنها، وحفظ عن رسول الله ﷺ، فروى عنه ابن الحارث، ونافع، وسليمان بن يسار وغيرهم.

قرأ القرآن على أبيّ بن كعب، وسمع من عمر بن الخطاب، وابن عباس، وأبيه عياش وغيرهم.

وقرأ عليه مولاه أبو جعفر القارئ، ويزيد بن رومان، وشيبة، ومسلم بن جندب وغيرهم.

وكان أقرأ أهل المدينة في زمانه.

واختلف في وفاته فقيل: سنة ثمان وسبعين وقيل بعد سنة سبعين، وقيل: سنة أربع وستين.

٣) عبد الله بن عباس ﷺ (ت: ٦٨ هـ)

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو العباس، الصحابي الجليل، حبر الأمة، ولد بمكة ونشأ في بدية عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ، وروى عنه الأحاديث، له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثاً.

مكانته وفضله:

صح عن النبي ﷺ أنه ضمه إلى صدره وقال: "**اللهم علمه الحكمة**" وقال: "**اللهم علمه الكتاب**"، فكان أثر هذا الدعاء على ابن عباس كبيراً حيث لقب بحبر الأمة وترجمان القرآن، وكان عمر ﷺ يقدمه على أشياخ بدر لفقهه وعلمه وسداد رأيه، وقال مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس، ومناقبه ﷺ كثيرة، وكان من أعلم الناس في زمانه.

---

١ انظر: معرفة القراء الكبار: ص٢٣.

قرأ القرآن على زيد بن ثابت ﷺ، وقرأ عليه مجاهد، وسعيد بن جبير، والأعرج، وعكرمة بن خالد، وأبو جعفر وغيرهم، توفي ﷺ في الطائف سنة ثمان وستين، وقد كف بصره في أواخر عمره.[1]

٤) عبد الله بن السائب (ت: ٦٨هـ)

هو عبدالله بن السائب، صيفي بن عابد بن عمر بن مخزوم بن يقظه بن مره، أبو عبد الرحمن، وأبوه السائب القرشي المخزومي المكي، وامهر ملة بنت عروة ذي البردين من بني هلال بن عامر. أسلم يوم الفتح، وأقام بمكة، ولقب بقارئها. وله صحبة ورواية.

مكانته وفضله:

قال ابن مجاهد: كنا نفخر على الناس بقارئنا عبد الله بن السائب، وبفقيهنا عبدالله بن عباس، وبمؤذننا أبي محذورة، وبقاضينا عبيد بن عمير. روى القراءة عرضاً عن أبيّ بن كعب وعمر بن الخطاب ﷺا، وعرض عليه القرآن مجاهد، وعبدالله بن كثير.

قال ابن أبي مليكة: رأيت ابن عباس ﷺ قام على قبر عبد الله بن السائب فدعا له، وقيل مات سنة سبعين من الهجرة.[2]

المبحث الثالث: قراء القراءات في الصدر الثالث ومنهجهم

وسائر القراء في هذه الطبقة من التابعين ومن أبرزهم:

١) عبدالرحمن بن هرمز الأعرج (ت: ١١٧ هـ)

هو الإمام عبدالرحمن بن هرمز الأعرج، أبو داود المدني، مولى محمد بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم، كان ثقة، كثير الحديث.

أخذ القراءة عرضاً عن أبي هريرة وابن عباس، وعبدالله بن عياش بن أبي ربيعة ﷺ، وأكثر من السنن عن أبي هريرة.

قرأ عليه القرآن نافع بن أبي نعيم وغيره، قال إبراهيم بن سعد: كان الأعرج يكتب المصاحف، وروى ابن أبي لهيعة عن أبي النضر: قال: كان عبدالرحمن بن هرمز الأعرج أول من وضع العربية، وكان أعلم الناس بأنساب قريش، وقال الذهبي: كان الأعرج أحد من برز في القرآن والسنة، وقالوا هو أول من وضع العربية في المدينة، توفي سنة سبع عشرة ومائة.[3]

---

١ انظر: معرفة القراء الكبار: ص٢٤.

٢ انظر: معرفة القراء الكبار: ص٢٦.

٣ انظر: معرفة القراء الكبار: ص٧٧، وانظر: غاية النهاية ١/٣٨١.

٢) شيبة بن نصاح (١٣٠هـ)

هو الإمام شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المدني، أبو ميمونة المقرئ الإمام، مولى أم سلمة ﵂، واحد شيوخ نافع في القراءة، وقاضي المدينة ومقرئها مع أبي جعفر، أدرك أم المؤمنين عائشة وأم سلمة ﵂، وقرأ القرآن على عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، وقرأ عليه نافع، وإسماعيل بن جعفر، وسليمان بن مسلم بن جماز.

قال الدوري: حدثنا إسماعيل بن جعفر قال: قرأت على شيبة بن نصاح مولى أم سلمة ﵂ فكان إمام أهل المدينة في القراءة، وقال قالون: كان نافع أكثر اتباعاً لشيبة منه لأبي جعفر، توفي سنة ثلاثين ومائة من الهجرة.[١]

٣) أبو جعفر القارئ (ت: ١٣٠هـ)

هو يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المخزومي المدني، أحد القراء العشرة، تابعي مشهور كبير القدر، عرض القرآن على مولاه عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة وعبدالله بن عباس، وأبي هريرة، ﵃، وروى عنهم، روى القراءة عنه نافع بن أبي نعيم، وسليمان بن مسلم بن جماز، وعيسى بن وردان وغيرهم.

قال يحي بن معين: كان إمام أهل المدينة في القراءة، فسمي القارئ بذلك، وكان ثقة قليل الحديث، وقال مالك: كان أبو جعفر رجلاً صالحاً يقرئ الناس بالمدينة، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، واستمر على ذلك مدة من الزمان، فقال له أصحابه في ذلك فقال: إنما فعلت ذلك أروض به نفسي لعبادة الله.

توفي سنة ثلاثين، وقيل: اثنتين وثلاثين، وقيل غير ذلك.[٢]

٤) نافع المدني (ت: ١٦٩هـ)

هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الإمام، حبر القرآن، أبو رويم، ويقال: أبو الحسن، ويقال: أبو نعيم مولى جعونة بن شعوب الليثي، حليف حمزة عم رسول الله ﷺ.

أصله من أصبهان[٣]، ولد في خلافة عبدالملك بن مروان سنة بضع وسبعين، وجوّد كتاب الله على جماعة من التابعين، بحيث أن موسى بن طارق حكى عنه، قال: قرأت على سبعين من التابعين، وروي أن نافعاً إذا تكلم توجد من فيه ريح المسك، فسئل عنه، قال: رأيت النبي ﷺ تَفل في فيّ.

---

١ انظر: معرفة القراء الكبار: ص٧٩، وانظر: غاية النهاية ٣٣٠/١.

٢ انظر: معرفة القراء الكبار: ص٧٢، وانظر: غاية النهاية ٣٨٥/١.

٣ أصبهان بفتح الهمزة وكسرها، وهي مدينة مشهورة تقع في بلاد فارس، انظر: معجم البلدان ٢٠٦/١.

قال أبو عمرو الداني : قرأ على الأعرج، وأبي جعفر القارئ، وشيبة بن نصاح، ومسلم بن جندب، ويزيد بن رومان وغيرهم.

وأقرأ الناس دهراً طويلاً، فقرأ عليه الإمام مالك، وإسماعيل بن جعفر، وعيسى بن وردان الحذاء، وسليمان بن مسلم بن جماز، والواقدي، وقالون، وورش، وإسماعيل بن أويس وغيرهم. توفي رحمه الله سنة تسع وستين ومائة، قبل مالك بعشر سنين.[1]

منهج القراءة والإقراء في القرون الثلاثة الأولى:

أعني بذلك المنهج النبوي والتربوي في القرون الثلاثة المفضلة في المدينة النبوية، وغيرها من الأمصار، ورد عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ لأبيّ: "**إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن**"، قال أبيّ: الله سماني لك؟ قال: "**الله سماك لي**"، فجعل أبي يبكي.[2]

إذا تأملنا في قراءة النبي ﷺ على أبيّ بن كعب[3]ﷺ، وضح لنا مشروعية القراءة على المشايخ، وأخذ الألفاظ عنهم بطريق المشافهة، فهو ﷺ إنما قرأ على أبيّ ليعلمه طريقة التلاوة وترتيلها، وعلى أي صفة تكون قراءة القرآن، ليكون ذلك سنّة في الإقراء والتعليم، وقد وقع الأمر كذلك، فإن الصحابة الآخذين للقرآن عنه ﷺ عرض بعضهم على بعض، ثم وقع كذلك للتابعين وأتباعهم، حتى اتصل الأمر إلينا مسلسلاً متواتراً.[4]

ولقد سلك النبي ﷺ منهج تربوياً في تعليم القرآن الكريم، واقتدى به صحابته الكرام، والتابعين لهم بإحسان، ومن أبرز دعائم هذا المنهج ما يلي:

١. الإخلاص وترسيخ الإيمان:

حرص النبي ﷺ على تربية أصحابه التربية الإيمانية، وتصفية قلوبهم من كل شائبة تحول دون قبول الأعمال عند الله ﷻ، وتحذيرهم من الرياء، والنفاق، ومن ذلك المباهاة في تعليم القرآن، فعن أبي سعيد الخدري[5] ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: "**تعلموا القرآن، وسلوا الله به الجنة، قبل أن يتعلموه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة رجل يباهي به ورجل يستأكل به، ورجل يقرؤه الله** ".[6]

---

١ انظر: معرفة القراء الكبار: ص١٠٧، وانظر: غاية النهاية ٣٣٤/٢.

٢ أخرجه البخاري في صحيحه، ص٦٣٩، ومسلم: ٣٣٤/١.

٣ سبقت ترجمته انظر: ص٢٧.

٤ انظر: الطائف الإشارات للقسطلاني، ٢٠٩/١.

٥ هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخدري، له ولأبيه صحبة، واستصغر بأحد ثم شهد الخندق، وروى كثير من الأحاديث مات بالمدينة سنة (٦٣هـ)، وقيل غيرها. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٤٤/١.

٦ أخرجه البغوي في شرح السنة، كتاب فضائل القرآن، ٤٣٩/٤، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٥٨) ٥١٩/١.

٢. الترغيب في تعلم القرآن وتعليمه:

رغّب النبي ﷺ أصحابه، وحثّهم على تعلّم القرآن وتعليمه، والحث بصورة مشوقة، وأساليب حافزة للهمم، فقد يرغب في تعلم القرآن كاملاً دون تحديد لسورة معينة، في حديث عثمان بن عفان ﷺ: "**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**".[١]

٣. استماع النبي صلى الله عليه وسلم لقراءاتهم وتشجيعهم:

حرص النبي ﷺ على الاستماع للصحابة ﷺ، فمن ذلك ما جاء من عرض عبدالله بن مسعود ﷺ، حيث قال: قال لي النبي ﷺ: "**اقرأ علي**"، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ فقال: "**إني أحبه أن أسمعه من غيري**"، فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت هذه الآية ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: ٤١]، قال: "**حسبك الآن**"، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.[٢]

ولم يكتف النبي ﷺ بالاستماع لقراءة أصحابه، بل كان يشجعهم، زارعاً في قلوبهم الهمة والحماس في التلاوة والتغني بكتاب الله ﷻ، ومن ذلك ما جاء عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: استمع رسول الله ﷺ قراءاتي من الليل، فلما أصبحت قال: "**يا أبا موسى، استمعت قراءتك الليلة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**"، قلت يا رسول الله: لو علمت مكانك لحبرت لك تحبيراً.[٣]

٤. قراءة النبي ﷺ على غيره:

كما سبق من قراءته ﷺ على أبيّ بن كعب ﷺ، معلماً له ألفاظ القرآن الكريم، وكيفية أدائه، ومواضع الوقوف، ومخارج الحروف، وغيرها مما يختص بتلاوة كتاب الله تعالى.

والمزايا التربوية التي أسَّسها النبي ﷺ في منهج تعلم وتعليم القرآن كثيرة، وتبعه في ذلك السلف الصالح من الصحابة والتابعين، إلى أن وصل إلينا هذا المنهج غضاً طرياً، محفوظاً بحفظ الله تعالى لكتابه، وهذا ما نشاهده اليوم ولله الحمد من انتشار حفظة كتاب الله في كل مصر من الأمصار، بل وانتشار القراءات القرآنية، ومازالت تتلى وتدرس بعض القراءات المختلفة من مصر إلى مصر، ومن عصر إلى عصر، ويبقى ظهور بعض القراءات وشهرتها عن بعض القراءات المختلفة الأخرى في زمن دون زمن آخر، خاضع لأمور سياسية، واجتماعية، والله أعلم.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٠٢٧) ص٩٠١.

٢ أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٠٥٥) ص٩٠٥، ومسلم برقم (٨٠٠) ٤٦١/١، واللفظ للبخاري.

٣ أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٠٨٤) ص ٩٠٣، ومسلم: برقم (٧٩٣) ٤٥٨/١.

الفصل الثاني: أثر قراءاتهم في العلوم الشرعية الأخرى

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: أثر قراءتهم في التفسير

تعرض السلف ﷺ لبيان أثر القراءات في التفسير، واهتموا به اهتماماً يعلمه الناظر في المنقول عنهم من تفسير القرآن الكريم.

والتنبه لهذا في كلام السلف على معاني القرآن بحسب قراءة مخصوصة يرفع ما قد يظن أنه تفسيران للآية كل تفسير على قراءة.[1]

ومن النصوص التي تظهر اهتمام السلف ﷺ ببيان أثر القراءات في تفسير القرآن العظيم ما يلي:

١) في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾** [البقرة: ٦١].

عن ابن عباس ﷺ أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله ﷻ: ﴿وَفُومِهَا﴾.

قال: القوم الحنطة.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت أبا محجن الثقفي وهو يقول:

قد كنت أحسبني كأغنى واحد قدم المدينة عن زراعة فوم

قال: يابن الأزرق ومن قرأها على قراءة ابن مسعود يعني: "وثومها" فهو هذا المنتن، قال: أمية بن أبي الصلت:

كانت منازلهم إذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والفومات والبصل

وهذا النص فسّر فيه ابن عباس ﷺ الآية على القراءتين **﴿وَفُومِهَا﴾** و "وثومها".

٢) في قوله تبارك وتعالى: **﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾** [يوسف: ٣١].

عن معاذ الكوفي قال: "من قرأ **﴿يُبَشِّرُهُم﴾** مثقلة فإنه من البشارة، ومن قرأ: **﴿يَبْشُرُهُم﴾** مخففة بنصب الياء فإنه من السرور يسرهم. أهـ[2]

٣) قوله تبارك وتعالى: **﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [التوبة: ١٠].

---

١ انظر: علم القراءات نشأته وأطواره وأثره في العلوم الشرعية، ص٣٢٧.

٢ انظر: تفسير الطبري، ٣٦٩/٦.

عن السدي قال: "من قرأها ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ خفيفة قال: بنو مقرن، ومن قرأها : ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ مشددة قال: اعتذروا بشيء ليس لهم عذر بحق". أهـ[1]

يريد السدي أن يبين أن الآية بالقراءتين شملت من جاء من الأعراب يعتذر بحق – وهذا على قراءة التخفيف وهم بنو مقرن، كما قال مجاهد في سبب نزول الآيات بعدها –، وشملت من جاء يعتذر بغير حق وهم أهل النفاق – وذلك: قراءة التشديد – والله أعلم.[2]

وهذه النصوص وغيرها – سواء صح منها أم لم يصح – تدل على أن السلف ﷺ كانوا يستعينون بالقراءات في الآية من أجل تفسيرها وبيان المراد منها، وهذا الأمر لم يقتصر على طبقة الصحابة والتابعين، فقد جاء أثر التفسير على القراءات واضحاً في مصنفات علماء التفسير، كما عند سفيان الثوري (ت:١٦١هـ)، والفراء (ت: ٢٠٧هـ)، والأخفش (ت: ٢١٥هـ)، وابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، والطبري (ت: ٣١٠ هـ)، والزجاج (ت: ٣١١هـ)، وأبي جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ) وغيرهم[3].

المبحث الثاني: أثر قراءتهم في الأحكام الفقهية

لقد كان الأئمة الفقهاء رحمهم الله تعالى على علم كبير بالقراءات وكانوا يهتمون بها اهتماماً عظيماً، وذلك لكونهم يبحثون عن وجوهها للاستدلال بها على الأحكام الشرعية، وما يترتب على القراءات من آثار فقهية.

وقد جمع بعضهم بين علمي الفقه وعلم القراءات وأتقن كلا العلمين لارتباطهما ببعضهما في بيان الأحكام الشرعية، ومن هؤلاء الذين اهتموا بالعلمين معاً الإمام الحسن البصري[4] الذي قال عنه الإمام الشافعي[5]: "لو أشاء أن أقول إن القرآن نزل بلغة الحسن البصري لقلت؛ لفصاحته"[6]، ومنهم الإمام المفسر أبو عبدالله القرطبي الذي جمع في كتابه بين القراءات القرآنية والأحكام الفقهية.

وكان الأئمة الفقهاء مع عظيم منزلتهم وغزارة علمهم يعظمون علماء القراءات ويرجعون إليهم في بعض الأمور التي تعترضهم.

---

١ عزاه في الدر المنثور لابن أبي حاتم، ٢٦١/٤.

٢ انظر: القراءات وأثرها في التفسير، للدكتور: محمد بازمول، ٣٨٥/١.

٣ انظر: القراءات وأثرها في التفسير، للدكتور: محمد بازمول، ٣٨٥/١.

٤ هو الإمام التابعي الجليل الحسن بن يسار مولاهم البصري، أبو سعيد الأنصاري، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه، توفي رحمه الله سنة (١١٠هـ) انظر ترجمته: في الطبقات الكبرى، ١٥٦/٧.

٥ هو أبو عبدالله محمد بن أدريس الشافعي، الفقيه المعروف، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبت الشافعية كافة، له تصانيف كثيرة، أشهرها كتابه: (الأم)، توفي رحمه الله بمصر سنة (٢٠٤هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/٥-٩٩، وانظر: الأعلام ٢٦/٦.

٦ انظر: القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب للقاضي، ص١٤.

وقد شهد الإمام مالك رحمه الله لإمامين من أئمة القراءات من المدينة المنورة في عهده في القراءات وزكاهما وهما الإمام نافع والإمام أبو جعفر رحمهما الله، وحينما سئل عن حكم الجهر بالبسملة أثناء الصلاة قال: "سلوا نافعاً فكل علم يسئل عنه أهله، ونافع إمام الناس في القراءة".[1]

وكما شهد الإمام مالك رحمه الله لنافع بمعرفة القراءة شهد له الإمام الشافعي بذلك أيضاً إذ يقول عن قراءة نافع: "قراءة نافع سنة وحسبك برجل قرأ عليه مالك".[2]

ومن الأمثلة لأثر القراءات في الأحكام الفقهية مايلي:

المثال الأول: عند قوله تعالى: **﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** [البقرة: ٢٢٢].

هذه الآية الكريمة وردت فيها قراءتان متواترتان هما:

الأولى: قراءة تخفيف الطاء في **﴿يَطْهُرْنَ﴾** بإسكان الطاء وضم الهاء قراءة الجمهور.

الثانية: قراءة تضعيف الطاء في **﴿يَطْهُرْنَ﴾** بتشديد الطاء والهاء وفتحهما قراءة حمزة والكسائي وخلف البزار.[3]

واختلاف القراءتين في هذه الآية الكريمة قد ترتب عليه حكمان مختلفان، وذلك بسبب اختلاف المفسرين والفقهاء في معنى يطهرن بالتخفيف، ويطهرن بالتضعيف، وترجيح إحداهما على الأخرى. فمن قرأ بالتخفيف فعلى معنى زوال الدم أي: زوال دم الحيض غاية النهي عن قربانهن. من طهرت المرأة من حيضها إذا انقطع عنها الدم، ويكون المعنى على هذه القراءة لا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم.

ومن قرأ بالتضعيف فعلى معنى يتطهرن أي: يغتسلن أو يستعملن الماء بأن تغسل موضع الدم منها فقط أو تتوضأ، أيّ ذلك فعلت جاز لها وأباح لزوجها قربانها.[4]

المثال الثاني: عند قول الله تعالى: **﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾** [البقرة: ١٢٥].

في قول الله تعالى : **﴿وَاتَّخِذُوا﴾** من هذه الآية قراءتان متواترتان:

الأولى: بفتح الخاء على أنه فعل ماض على سبيل الإخبار وهي قراءة نافع وابن عامر.

الثانية: قراءة الجمهور: بكسر الخاء على سبيل الأمر.[5]

---

١ انظر: لطائف الإشارات ٩٤/١.

٢ انظر: لطائف الإشارات ٩٤/١.

٣ انظر: النشر في القراءات العشر ٢٢٧/٢.

٤ انظر: التفسير الكبير للرازي ٧٢/٦.

٥ انظر: النشر في القراءات العشر ٢٢٢/٢.

والفقهاء رحمهم الله قد اختلفوا في الاستدلال بهذه الآية، فمن قرأ بصيغة الخبر استدل بالآية على أن الصلاة خلف المقام سنة، وقد قال بهذا القول: الأئمة: مالك وأحمد والشافعي في أحد قوليه.[1]

أما القراءة الثانية: وهي بصيغة الأمر بكسر الخاء من (اتخِذوا) فمن قرأ بها استدل على وجوب الصلاة خلف المقام، مستدلاً بهذه القراءة الواردة بصيغة الأمر، والأمر يقتضي الوجوب. وهذا القول قال به الإمام أبو حنيفة وهو قول للإمام الشافعي.[2]

والأمثلة التي تبين أثر القراءات على الأحكام الفقهية كثيرة، وحسبي أن أكتفي بذكر هذين المثالين.

المبحث الثالث: أثر قراءاتهم في اللغة العربية

توطئة:

القرآن الكريم بجميع قراءاته نزل بلسان عربي مبين كما أخبر الله تعالى بذلك إذ يقول: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، نزل بلغة قريش، وقد أخذ الناس يقرؤون القرآن بقراءاته المتعددة دونما حدوث أيّ لحن لدى العرب في نطقهم وقراءتهم حتى اختلط العرب بالأعاجم وبعد الزمن وحدث اللحن في لغة العرب، فاحتاج الناس على ضابط للغة، فبدأ تدوين علم النحو، والذي اتخذ من القراءات القرآنية مصدراً من مصادره التي تبنى عليها قواعده على اختلاف بين علماء النحو في مدى الأخذ بالقراءات.

موقف النحاة من القراءات:

النحاة، أو بعضهم على الأصح، لم يقفوا مع بعضهم موقف المعارضة والرد والتضعيف كما وقفوا حيال القراءات. فقد وجد كثير منهم في أحيان كثيرة يتصيدون القراءات يخطئونها تارة ويضعفونها أخرى ويؤيدونها تارة ثالثة حتى طال الجدل بينهم وبين القراء، فالبصريّون مثلاً ينظرون إلى القراءات نظرة حذر وحيطة، ولا يأخذون بها إلا نادراً، بينما الكوفيين يعتمدون على القراءات اعتماداً كبيراً، ولم يظهر هذا الأمر فيما يبدو لي إلا في أواخر القرن الثالث؛ مع بداية انتشار القراءات والتصنيف في شتى العلوم.

---

١ انظر: المغني لابن قدامة ٣/٣٨٤.

٢ انظر: المهذب ١/٢٢٣.

أمثلة لأثر القراءات القرآنية في اللغة العربية:

وهذه الأمثلة توضح مدى تأثير القراءات القرآنية في وضع القواعد والأسس النحوية، وفي اختلاف النحاة ومنها:

أولاً: قراءات تولدت عنها قواعد نحوية مختلفة أو شاركت في بناء تلك القواعد:

١) قاعدة نصب الفعل المضارع المقترن بفاء السببية بعد الرجاء حملاً على التمني: أخذت هذه القاعدة من قراءة حفص لقوله تعالى: **﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ﴾** [غافر: ٣٦-٣٧]، بنصب **﴿أَطَّلِعَ﴾**.

٢) قاعدة نصب الفعل المضارع أو رفعه إذا وقع بعد أن المخففة من الثقيلة المسبوقة بفعل من أفعال الرجحان: أخذت هذه القاعدة من قوله تعالى: **﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾** [المائدة: ٧١]، فقد قرأها أبو عمرو وحمزة والكسائي برفع **﴿تَكُونُ﴾** كما قراءها غيرهم بالنصب.[١]

٣) قاعدة جواز الوقف على الاسم المنقوص بإثبات الياء: أخذت هذه القاعدة من قراءة ابن كثير لقوله تعالى: **﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾** [الرعد: ٧] أي: بإثبات الياء وقفاً.

ثانياً: قراءات أيّدت بها قاعدة نحوية:

١) حذف المضاف إليه مع (قبل وبعد) دون نيته لا لفظاً ولا تقديراً:

وقد أيدت بقراءة قوله تعالى: **﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾** [الروم: ٤]، بجر كلمتي: (قبل وبعد) وتنوينهما على اعتبار أنهما قد قطعتا عن الإضافة لفظاً ومعنى، وهما في هذه الحالة نكرتان لتنوينهما.[٢]

٢) الاسم المقترن بأل والمعطوف على منادى:

وذلك مثل: يا محمد والغلام، وفي مثل هذا المعطوف يجوز الرقع على لفظ (محمد)، ويجوز فيه النصب مراعاة لمحله. وقد أيد وجه النصب بقراءة السبعة لقوله تعالى: **﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ والطير﴾** [سبأ: ١٠]، كما أيد الرفع – الطير – بقراءة اختارها الخليل وسيبويه.[٣]

---

١ انظر: النشر ٢/٢٥٥.

٢ انظر: شرح الألفية، للأشموني ٢/٢٧٠.

٣ انظر: معجم القراءات ٥/١٤٦.

٣) صرف الممنوع من الصرف الإرادة التناسب:

أيدت هذه القاعدة بقراءة نافع والكسائي من السبعة بالتنوين وصلاً لقوله تعالى: ﴿**سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً وَسَعِيرًا**﴾ [الإنسان: ٤]، صرف لمناسبة اقترانه بكلمة (أغلالاً) وهي مصروفة، كما أيدت بقراءة الأعمش لقوله تعالى: ﴿**وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾ [نوح: ٢٣]، بصرف (يغوث ويعوق) وهما يحتويان على سبب المنع من حيث علميتهما ووزن الفعل فيهما، وذلك لمناسبة (نسراً) وهي كلمة منونة.[١]

٤) رفع الفعل المضارع الدال على الحال بعد (حتى):

أيدت هذه القاعدة بقوله تعالى: ﴿**وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ**﴾ [البقرة: ٢١٤]، وذلك برفع الفعل المضارع لدلالته على الحال، وذلك حسب قراءة نافع.[٢]

إلى غير ذلك من الأمثلة التي لا يتسع المجال لسردها، ولعل فيما ذكرت من أمثلة بيان ما لأثر القراءات على النحو العربي، ولا أدل على تأثير القراءات في النحو ما نراه من مؤلفات لعلماء النحو والقراءات ككتب إعراب القرآن، وكتب الاحتجاج للقراءات متواترها وشاذها، وغير ذلك.

١ انظر: شرح الألفية للأشموني ٢٧٥/٣.

٢ انظر: معجم القراءات ١٦٥/١.

الخـــاتمـــــة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده أبلغ الحمد وأكمله وأزكاه، وأشـــهد أن لا إله إلا اله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله المصطفى بتتمـــيم دعوتـــه ورســـالته، صـــلى الله عليـــه وعلـــى آلـــه وصـــحبه وســـلم تـــسليماً كثيـــراً. وبعد:

فهذه أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليه من خلال البحث:

أولاً: إن مصدر القرآن الكريم والقراءات إنما هو الوحي ولـــيس للاجتهـــاد محـــال فيـــه، فالقراءات القرآنية سنة متبعة تلقها الخلف عن السلف.

ثانياً: إن القرآن الكريم وقراءاته المختلفة، لا تأخذ إلا عن طريق التلقي والمـــشافهة، كمـــا تلقى النبي ﷺ القرآن، وتلقاه من بعده الصحابة، وتلقاه من بعـــدهم التـــابعين ســـنة متبعـــة يأخذها الآخر عن الأول.

ثالثاً: إن علم القراءات وعلاقته بالعلوم الشرعية الأخرى، كأثر القراءات علـــى البلاغـــة، وأثر القراءات على النحو العربي، وعلم الصرف، وأثر القراءات علـــى التفـــسير، وأثـــر القراءات على الفقه، والعقيدة، وأثر القراءات على الوقف والابتداء، وعلـــى علـــم الرســـم والتوجيه، تحتاج إلى إفراد رسائل جامعية يستفيد منه طلبة العلم.

رابعاً: خلاصة البحث الذي بين أيدينا، هو إبراز جهود مدارس القراءات وقراءهـــا علـــى الأمصار والأعصار، وتحتاج إلى مشروع إفراد رسائل علمية منهجية مرجعية.

أما التوصيات:

أولاً: أقترح أن ينشأ موسوعة علمية مرجعية علـــى الحاســـب الآلـــي، أو علـــى أجهـــزة التطبيقات الذكية في القراءات المتواترة والشاذة، كالموسوعات الحديثية والفقهية كي يستفيد منها طلبة العلم.

ثانياً: إن كتب تراجم القراء تحتاج مزيد عناية في إبراز تراجم للقراءات، والقـــراء غيـــر الذين ذكروا في مصنفات أخرى، وكذلك تراجم للقراء المعاصرين. وذلك لندرة من تـــرجم للقراءات.

وبعد هذا التجوال مع هذا البحث في قراءات وقراء المدينة النبوية، أسأل الله ســـبحانه أن يجعله من العلم النافع، وأن يغفر لنا الزلل والخطل، وأن يرزقنا الإخلاص فيمـــا نقـــول ونفعل، وآخر دعوانا أن الحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم وعلى نبينا محمـــد وعلـــى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع:

أولاً: المصاحف.

١- مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية.

ثانياً: المطبوعات.

٢- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، أحمد بن محمد البنا، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، ط:١، بيروت، عالم الكتاب، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية.

٣- الإصابة في تمييز الصحابة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، بيروت، دار الكتب العلمية.

٤- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط:٧، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٦م.

٥- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠١هـ.

٦- التفسير الكبير، أبو عبدالله محمد بن عمر بن حسين فخر الدين الرازي، مصر، المطبعة البهية المصرية، ١٣٥٧هـ.

٧- تفسير البغوي المسمى معالم التريل، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، ط:٢، بيروت دار المعرفة، ١٤٠٧هـ.

٨- تهذيب التهذيب شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ط: ١ بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٦هـ.

٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط:٢، ١٤٠٣هـ .

١٠- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٧، ١٤٠٥هـ.

١١- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المجلد الأول والثاني، المكتبة الإسلامية، استنبول.

١٢- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط:٦، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ.

١٣- شرح الأشموني على ألفية بن مالك، علي بن محمد بن عيسى الأشموني، القاهرة، دار الكتاب العربي.

١٤- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، استنبول، المكتبة الإسلامية، ١٩٨١م.

١٥- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، نشر رئاسة البحوث الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٠هـ.

١٦- صفحات في علوم القراءات عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، مكة المكرمة، المكتبة الإمدادية، ط:٢، ١٤٢٦هـ.

١٧- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد البصري الأزهري، بيروت، دار صادر.

١٨- علم القراءات نشأته وأطواره وأثره في العلوم الأخرى، نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز، ط:٢، ١٤٢٣هـ.

١٩- غاية النهاية في طبقات القراء، أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، نشر ج - برجشتراسر، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٥١ هـ.

٢٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الرياض، إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

٢١- القراءات القرآنية تاريخها، ثبوتها، حجيتها وأحكامها، عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط:١، ١٩٩٩م.

٢٢- القراءات القرآنية وأثرها على التفسير والأحكام محمد بن عمر بن سالم بازمول، الرياض، دار الهجرة، ط:١، ١٤١٧هـ.

٢٣- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

٢٤- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، بيروت، دار الفكر.

٢٥- الطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني المصري الشافعي، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، مطابع الأهرام.

٢٦- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، ط:٥، المكتب الإسلامي، استبول، ١٤٠٥هـ.

٢٧- معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ.

٢٨- معجم القراءات القرآنية، أحمد مختار عمر، وعبد العال سالم مكرم، ط:٢، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، ١٤٠٨هـ.

٢٩- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ.

٣٠- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ط:١، ١٤١٩هـ.